البريطانية. ولعله من الصحيح أن نقول: ان هذا الوعي، وان تطور وتقدم بمضي السنين، ظل حتى قيام اسرائيل قاصراً عن أن يلم بهذه الطبيعة بكاملها.

أسباب الرفض الفلسطيني للصهيونية

ففي بداياته انطلق الرفض الفلسطيني للصهيونية، من الحذر الشائع تجاه اليهود، وهو حذر حفزته نوازع اجتماعية ودينية واقتصادية، سبق وجودها وجود الصهيونية، وغذّاه ــ كما أشرنا إليه آنفاً ــ شيوع أنباء الخطة الصهيونية، لاستيطان فلسطين، وبناء الوطن القومي اليهودي فيها، ثم بروز ظاهرة الهجرة اليهودية، في ظل الانتداب البريطاني، واستفحال خطرها، وما رافقها من أعمال الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية، بوسائل مختلفة. وحين اتضح للفلسطينيين أن بريطانيا تدعم مطلب الوطن القومي اليهودي، وكذلك الدول الحليفة الأخرى، اعتقدوا أن هذا ناجم عن نقص في معلومات بريطانيا، عن مطامع اليهود، وعن قلة معرفتها، بحقوق العرب وبراهينهم التي تثبت حقوقهم هذه. ولذلك، فان مذكرة المؤتمر العربي الفلسطيني الأول، إلى مؤتمر الصلح، كانت واثقة أنه «متى عرف [المؤتمر] حجتنا وبراهيننا، والأضرار التي تلحق بنا، يثبت حقوقنا في بلادنا ويمنع عنا عادية الصهيونيين»[١٢]. وقد قر في أذهان قادة الحركة الوطنية الفلسطينية، لسنوات عديدة لاحقة، أنه يمكن بالتعاون مع بريطانيا ومن خلال الاتصال بها وإقناعها بخطورة الحركة الصهيونية، ثنيها عن تأييد المطلب الصهيوني. وفي غياب الوعي لطبيعة الصهيونية والامبريالية وللصلة بينهما، اتخذت محاولات الإقناع، في بعض الحالات، صيغاً مفرطة في التعبير عن السذاجة؛ من ذلك، مثلاً، أن رئيس «اللجنة التنفيذية» لفلسطين، موسى كاظم الحسيني، وجد الفرصة، بعد اضطرابات أثارها اليهود، في يافا عام ١٩٢١، في عيد العمال، ليقول في رسالة وجهها إلى وزارة الخارجية البريطانية: ان مهاجري اليهود «ينشرون روح البلشفية في فلسطين»، وليطلب «ايقاف الهجرة اليهودية إلى هذه البلاد، حقناً للدماء، ومنعاً لسير نار البلشفية في الشرق»[١٣]. وفي رسالة مماثلة وجهها، لمجلس العموم البريطاني، يقول الحسيني، رئيس اللجنة التنفيذية: «جئناكم اليوم ونار البلشفية تكاد تلتهم إحدى أمهات بلادنا، وعلم الهدم والتقويض، الأحمر، يرفع علناً في البلاد، ومناشير دعوة الشيوعية توزع على الأهلين بصورة متوالية. نطلب إلغاء عهد بلفور، وتغيير سياسة الحكومة الحاضرة، قبل أن تداهمنا نار البلشفية بحالة، أوسع وأشد، بحيث لا نقوى معها على مساعدة الحكومة، لاطفاء فتنتهم البلاد والشرق أجمع»[١٤].

وإذا كان الجهل بطبيعة الصهيونية، فضلاً عن طبيعة صلتها ببريطانيا، وسم الموقف العربي منها، آنذاك، فإن الجهل بتكوين منظماتها والتيارات التي تشكل مجموعة حركتها، وبما بين هذه التيارات، من نقاط التقاء أو اختلاف في الاتجاهات، وزوايا النظر والأهداف الصغيرة والكبيرة، ظل سمة ميزت الموقف العربي حتى سنة ١٩٤٨. وقد ظل من المألوف، على مدى هذه السنوات كلها، النظر إلى الجانب الصهيوني، ككل واحد ومتماسك، وتفسير كل ما يشي بوجود خلافات بين تياراته وكتله، على أنه شيء متفق عليه،